رسالة إلى شعب المحروســـــــــــة

أ.د. علي السلمي

كلنا نحب مصر المحروسة ونعتز بمصريتنا ونكرر لأنفسنا قول الزعيم الوطني الخالد مصطفى كامل باشا " لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصريا". والمصري المحب لبلده يأسى لما تعانيه من مشكلات وتردي في مختلف المجالات بالقياس لما كانت عليه في الزمن الجميل وأيضاً بالمقارنة بما حققته – وتحققه – دول أخرى كانت أقل شأناً من مصر ذات حضارة أل 7000 سنة.

وبرغم ما يفعله المصريون بمصرهم المحروسة، فهم ولا شك يرغبون في أن تكون أكثر تقدماً وأعلى مكانة مما هي عليه، وهم على استعداد للتضحية في سبيلها بكل غال ونفيس، وقد فعلوها مرات ومرات حين دافعوا عنها ضد المحتل البريطاني وكانت معارك الفدائيين منهم في منطقة قناة السويس في خمسينيات القرن الماضي دليلاً على بطولات غير عادية قدم فيها مصريون بسطاء أرواحهم فداء لمصر. وكانت موقعة الإسماعيلية في يناير عام 1952 ملحمة قاتل فيها رجال الشرطة البواسل بأسلحتهم البسيطة جحافل الجيش البريطاني المحتل وكان صمودهم نموذجاً فريداً في الشجاعة والإقدام والتضحية من أجل مصر. وكذلك حارب الشعب مع جيشه معركة العدوان الثلاثي في 1956 حيث صمد شعب بورسعيد في وجه العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي وساهم في اندحار القوات الغازية. كما تجرع الشعب مع جيشه مرارة الهزيمة في 1967 ثم صمد واستعد وشارك في حرب الاستنزاف حتى تحقق نصر من الله في 1973، كما استبسل أهل السويس في الدفاع عنها وأصبح 24 أكتوبر يوم عيدها.

واليوم ونحن نمر في مصرنا الغالية بمرحلة لا يكاد يختلف اثنان من أبناءها على أنها الأسوأ في تاريخها الطويل، فإن أبناء المحروسة مدعوون للنهوض مرة أخرى وأخذ زمام المبادرة في عمل وطني شجاع يستهدف تجميع القوى ورص الصفوف من أجل تحقيق نهضة شاملة تتجاوز السلبيات وتقدم دليلاً جديداً على أن المصريين قادرون بإذن الله على كسب معركتهم الجديدة.. معركة البناء لتحسين الحاضر وتأكيد المستقبل الزاهر.

إن المصريين مدعوون اليوم – وأكثر من أي وقت مضى – لنبذ السلبية والاتكالية، وعدم الاكتفاء بالتحسر على الأوضاع والبكاء على اللبن المسكوب. المصريون اليوم في مواجهة مرحلة تتطلب تغييراً شاملاً في أساليب التفكير والممارسات وأنماط السلوك الفردي والجمعي من أجل التخلص من الأمراض الاجتماعية الشائعة، وضرب قوى الفساد والإفساد التي استمرأت تهاون المصريين وتفريطهم في حقوقهم، والسعي إلى تصحيح أوضاعهم المادية والاجتماعية بكل الطرق والوسائل مستعينين بعد الله سبحانه وتعالى بذكائهم الفطري المعروف وقدراتهم الفكرية وتقاليدهم وأعرافهم والقيم الرائعة التي تميزهم من شهامة ومروءة وإيثار.

يا شعب المحروسة، ألم يكن طلعت حرب واحداً منكم وقد صنع نهضة اقتصادية وحركة اجتماعية مباركة كان لها شأنها في تمصير الاقتصاد الوطني ووضع المصريين في موقع يتعادل مع تأثير وسيطرة الأجنبي على اقتصاد الوطن، بل ويجعلهم في مركز أكثر تفوقاً بالنظر إلى عدالة قضيتهم ونبل مقاصدهم في الدفاع عن مقدراتهم وجهادهم في سبيل استعادة السيطرة على أمور وطنهم؟

يا شعب المحروسة، ألم ينشأ منكم وبينكم أجيال من رجال الأعمال الشرفاء من أمثال علي أمين يحي ومحمد فرغلي وأحمد عبود الذين أقاموا الصناعات وأنشئوا المشروعات التجارية والزراعية الكبرى، وساهموا بجهدهم وفكرهم ومالهم في فتح أبواب العمل المنتج للآلاف منكم، وكانوا حريصين على القيم الأخلاقية والأعراف والتقاليد المصرية ولم يعرف عن أي منهم بادرة للفساد أو محاولة للإفساد؟

يا شعب المحروسة، ألم يكن من أبناء وطنكم طه حسين ومحمود العقاد وإبراهيم ناجي وأحمد لطفي السيد ومصطفى مشرفه وعبد الوهاب مورو وأحمد زكي وزكي نجيب محمود وحسن فتحي وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ويوسف وهبي وغيرهم من عمالقة الفكر والأدب والفن والعلم والهندسة الذين شادوا حضارة مصرية زاهرة غنية مصدرها حب مصر وقوامها العمل الوطني الصادق ونتاجها ثقافة عالية وفن رفيع وفكر حر متجدد نهلنا منه جميعاً ولا يزال يمثل أفضل ما أنتج العقل المصري حتى الآن؟

يا شعب المحروسة، ألم تكن المحلة الكبرى القلعة الصناعية العامرة بما فيها من صناعات هائلة للغزل والنسيج والمنسوجات بمستويات جودة رائعة؟ ألم تكن بواخر شركة البوستة الخديوية التي أنشأها أحمد عبود تمخر عباب البحار وتعبر المحيطات رافعة علم مصر الجميل في جميع أنحاء العالم؟

يا شعب المحروسة، ألم يكن منكم تماسيح النيل مرعي حماد وحسن عبد الرحيم وعبد المنعم عبده وعبد اللطيف أبوهيف ، ومن قبلهم اسحق حلمي الذين قهروا بحر المانش وكانت أنباء انتصاراتهم والأرقام القياسية التي يحققونها في عبوره من الأنباء المعتادة لنا نحن المصريين خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي؟ ألم يكن محمود فياض وخضر التوني أبطال رفع الأثقال هم من أبناء هذه المحروسة الغالية؟ ألم يكن من أبنائكم وإخوانكم حسين منتصر والبير تادرس وشلبايه وغيرهم من عمالقة كرة السلة وما حققوه من انتصارات عالمية؟ وهل ننسى محمود الضظوي ثعلب كرة القدم وأقرانه حنفي بسطان والديبه وكاطو وصالح سليم وعشرات غيرهم والذين ناطحوا أكبر الفرق العالمية وحققوا من الانتصارات الشيء الكثير؟

يا شعب مصر، ألم تتعلم الشعوب العربية في مدارسكم وجامعاتكم وتخرج منها قادتهم وحكامهم وعلماؤهم؟ ألم تكن مستشفيات المحروسة وأطباؤها هم الملجأ والملاذ لطالبي العلاج من أبناء الوطن العربي جميعاً يحصلون على أفضل الخدمات وأرقاها؟ ألم يكن آباؤكم وإخوانكم هم حملة مشاعر التنوير والتحضر في مختلف الدول العربية بلا استثناء؟ ألم تنهل الشعوب العربية جميعها من الفن المصري ونطقت ألسنتهم بلهجتكم المحببة إليهم لكثرة مشاهدتهم لأفلام السينما المصرية أيام الفن الراقي في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي؟

يا شعب المحروسة، يا صاحب الحضارة والتاريخ والقيم والفن والإبداع ما لك وقد ارتضيت أن تكون أقل شأناً ممن هم دونك بمراحل؟ ولما تستكين إلى حالة من اليأس والقنوط تقعدك عن الحركة والسعي لاستعادة ما أنت جدير به من تقدم وعزة ونماء؟

يا شعب المحروسة، هلم إلى نهضة شاملة وحركة وطنية مباركة نلملم بها ما تفرق من جهدنا، ونجمع بها ما تمزق من صلاتنا ببعضنا، ونتوجه بها إلى معركة البناء والإنتاج وتصحيح المجتمع والإصرار على استعادة ما استلب من حرياتنا وما وهن من قدراتنا وعزائمنا.

يا شعب المحروسة، إننا اليوم مطالبون بتأكيد الوحدة الوطنية التي دامت مئات السنين بيننا مسلمين ومسيحيين، وضرب عناصر الفتنة والقضاء على أي محاولة لتفريق الشمل وإثارة البغضاء والتشاحن بيننا. إن هذه ليست مجرد دعوة عاطفية تدغدغ المشاعر والأحاسيس النبيلة في نفوسنا، ولكنها بالأساس دعوة عقلانية تدعو للتفكر في مصير الأمة لو تفككت، وتبصرنا أن في توحدنا قوة، وأن تنازعنا هو سبيل الهلاك لنا جميعاً.

يا شعب المحروسة، تعالوا بنا نتواصى بالتجمع والتوحد في التنظيمات السياسية والنقابية والجمعيات الاجتماعية والتجمعات الشعبية ومختلف منظمات المجتمع المدني من أجل تكوين رأي عام قوي قادر على التأثير في سياسات الدولة وقراراتها وطرح مشكلات الوطن وبيان آرائنا وطرحها بقوة على ساحة المناقشة والبحث، ومن ثم تأكيد حقنا في المشاركة في صنع القرار.

يا شعب المحروسة، تعالوا نتفق على ضرورة أن نمارس حقوقنا الانتخابية وألا نتهاون في المشاركة الواعية بأصواتنا في الانتخابات البرلمانية والمحلية وانتخابات مجالس النقابات والاتحادات المهنية وغيرها من التنظيمات، وأن نتمسك دائماً باختيار الأحسن والأفضل من أصحاب السمعة الطيبة والسجل الوطني الناصع، وممن نتوسم فيهم القدرة على الخدمة العامة والعطاء، وأن نعرض عن الطامعين في مواردنا والراغبين في استغلالنا لتحقيق مصالحهم الذاتية.

يا شعب المحروسة، هلم نمارس حقنا الطبيعي في قبول أو رفض ما يطرح علينا من أفكار وسياسات وتوجهات، والتعبير بكل الوسائل المتاحة عن آرائنا حول تلك الأمور سواء بالكتابة في الصحف وإرسال الرسائل إلى المسئولين في كافة المواقع، والمداخلة في البرامج التليفزيونية، والإعلان عن مواقفنا من خلال تجمعاتنا وتنظيماتنا الحزبية والنقابية. دعونا نعبر عن آرائنا حتى بالوسائل السلبية مثل الامتناع عن شراء الصحف والمجلات التي تعادي مصالحنا وتتخذ مواقف لا تمثل ما يجول في ضمائرنا وتهادن الفساد والمفسدين، ومقاطعة الاجتماعات واللقاءات التي تنظمها أحزاب أو جهات لا تعبر عن ضمير الشعب ولا تصدقه القول. وكذا مقاطعة الشركات والمنتجات ومقدمي الخدمات الذين لا يراعون المصالح الوطنية والشعبية.

يا شعب المحروسة، هلم نستخدم ما أتيح لنا من تقنيات الاتصالات والمعلومات ونشرع في إرسال الرسائل البريدية والإلكترونية - لكل من يتاح له ذلك – إلى الحكام والمسئولين في جميع المواقع وعلى كل المستويات لإبداء الرأي – سواء بالقبول أو بالرفض – لما يصدر عنهم من تصريحات أو ينكشف من توجهات وخطط قد لا تكون محل الرضا الشعبي، وأن نعبر في رسائلنا إليهم عن مقترحاتنا وتقييمنا لما يصدر عن سلطة الدولة من قرارات وما قد يبدو لنا فيها من قصور.

يا شعب المحروسة، هلم إلى الأخذ بالإيجابية في مواجهة المشكلات والتكاتف والتلاحم بيننا للتعاون في سبيل خلق الفرص وتجميع الإمكانيات من أجل تحسين ظروف الحياة في تجمعاتنا الشعبية، وأن نعتمد على جهودنا الذاتية في التصدي لمظاهر التخلف والتردي في الخدمات والمرافق بالأحياء والمراكز والقرى، وأن نمارس الضغط المنظم على ممثلينا في مجلس الشعب والمجالس الشعبية والمحلية من أجل الوفاء بما قطعوه على أنفسهم من وعود بتحسين البيئة وتوفير المقومات الضرورية لحياة إنسانية كريمة. إننا مطالبون باستخدام حقوقنا في مساءلة ومحاسبة القائمين على الشأن العام في أجهزة الدولة وأعضاء الهيئات والمجالس المنتخبين بهدف تمثيلنا والدفاع عن مصالحنا.

يا شعب المحروسة، دعونا نوجه أنشطة وفعاليات أكثر من 17000 جمعية أهلية التي نشارك فيها من أجل تطوير الخدمات والمرافق الاجتماعية ولتعويض النقص والقصور فيما تقوم به الأجهزة الحكومية، وأن نتوسع في إنشاء الجمعيات التعاونية وتنشيط التعاون الإنتاجي والاستهلاكي لتجميع طاقاتنا وقدراتنا ومواردنا وبذلك نسهم في خلق فرص العمل للمتعطلين منا وتيسير حصولنا على الخدمات الصحية والعلاجية والتعليمية وغيرها بأساليب كريمة وبتكلفة معقولة، كما نشارك في عوائد تلك المشروعات التعاونية.

يا شعب المحروسة، كما لنا حقوق علينا واجبات ومسئوليات ينبغي أن نقوم بها. علينا أن نتقيد بالنظام والشرعية والالتزام بالقواعد والأعراف الصحيحة في كل ما يصدر عنا من تصرفات. إننا مطالبون بالامتناع عن كل أشكال السلوك السلبي الذي يضر البيئة والمجتمع، ومن ثم يضرنا وأهلينا وأبناءنا ويبدد طاقاتنا ويحرم منها المحروسة ويقلل فرصها في النمو والازدهار. ومن مثل ذلك كل ما نمارسه من عشوائية في الشارع المصري وانفلات المرور وعدم الالتزام بقواعده،وما نشارك في صنعه يومياً من مشكلات وتجاوزات وتبديد لموارد الوطن وطاقاته.

ولك الله يا مصر يا محروسة وحماك مما يفعله بك أبناؤك من حكام ومحكومين.